كتاب وقائع المحفل العلمي الدولي العاشر

ALMAHFAL Proceedings

27-23 مايو2022م

The status of language immersion in Arabic instruction for non-native speakers - virtual class as a model

Hamid EL Batri

Faculty of Arts and Humanities - Mohammed V University in Rabat-Morocco.

حضور الانغماس اللغوي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها

الصف الافتراضي المتزامن أنموذجا

حميد البطري

كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة محمد الخامس بالرباط – المغرب.

hamid.elbatri.um5@gmail.com
arid.my/0005-4184
https://doi.org/10.36772/isf10.28

ARTICLE INFO
Article history:
Received 17/07/2022
Received in revised form 21/08/2022
Accepted 17/09/2022
Avalable online 1/10/2022
https://doi.org/10.36772/isf10.28

Abstract

The teaching and learning of Arabic to by non-native speakers has undergone a number of rapid and successive developments, including the emergence of new interactive, pedagogical patterns that tend to keep pace with enormous advance in the use of technology. In this field, the educational process inevitably has moved from traditional in-person interaction to distance education in a virtual class.

Owing to this interactional change, in which virtual environment is a dominant one, the element and the role of language immersion in foreign Arabic learning has become completely absent. As a consequence, only abstract content is left for the learner, lacking substantial opportunities for practice, immersion, and cultural in-context use of language.

Accordingly; this paper intends to answer the following questions:

-To what extent has Arabic language immersion been achieved for non-speakers in distance education?

-If there were the so-called virtual immersion present in distance, where exactly would the language partner's role emerge?

-How does modern technology be come in handy, being of considerable use for language immersion ?

Keywords: language immersion, virtual class, language partner, Arabic for non-native speakers

الملخص

شهد تعليم وتعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها عدة تطورات متسارعة ومتلاحقة، فكان من بينها ظهور أنماط جديدة للتعليم والتعلم، مُوَاكَبة لِمُستجدات العصر التقنية والتكنولوجية، إذ تم الانتقال في العملية التعليمية بهذا المجال من التعليم التقليدي الحضوري، إلى التعليم عن بعد في صف افتراضي، بعدما فرض هذا النمط من التعليم نفسه بقوة، وأصبح منافسا للتعليم الحضوري.

ففي هذا الصدد، ومع بروز التعليم عن بعد إلى الواجهة، أصبح موضوع الانغماس اللغوي في تعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها مغيبا تماما، حيث بات المتعلم مكتفيا بالحصص التي يتلقاها في الصف الافتراضي فقط، وبعد نهاية الصف، لا يستعمل، ولا يمارس ما تعلمه كما عُهد إلى التعليم الحضوري، الذي كان يوفر للمتعلم شريكا لغويا، ووسطا يستطيع الانغماس فيه، وممارسة اللغة في سياقها الثقافي وبين متكلميها.

وعليه؛ نروم في هذه الورقة البحثية الإجابة عن التساؤلات التالية:

– ما مدى تحقق الانغماس اللغوي في تعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها في التعليم عن بعد؟

– أين يتجسد حضور الانغماس الافتراضي، في ظل غياب الشريك اللغوي الذي يمثل دورا مهما في هذه العملية؟

– كيف يمكن الاستفادة من التقنية الحديثة في التعليم عن بعد، وجعلها عنصرا يحقق الانغماس اللغوي لدى المتعلم؟

الكلمات المفاتيح: الانغماس اللغوي، الصف الافتراضي، الشريك اللغوي، العربية للناطقين بغيرها.

مقدمة

لقد ساهمت التطورات التكنولوجية الحديثة، وثورة الاتصالات التي عرفها العالم مع نهاية القرن العشرين، وبداية القرن الواحد والعشرين في المجال التعليمي، وخاصة تعليم وتعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها، إلى بروز التعليم عن بعد في الواجهة، هذا النوع من التعليم القديم الجديد، والذي فرض نفسه بقوة بعد تفشي جائحة كورونا في العالم، ما نتج عنه إغلاق المدارس والمعاهد والجامعات وتوقف عجلة الحياة. فأصبح الجميع يخلط بين الأنواع المتعددة التي يوفرها هذا النمط من التعليم، الذي عوض التعليم التقليدي الحضوري. فلم يسلم مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها هو الآخر من هذا الأمر، بعدما أضحى اليوم التعليم عن بعد يوضع في كفة والتعليم التقليدي في كفة، على اعتبار أنه يحقق إلى حد ما يحققه التعليم التقليدي في البلاد العربية.

لم يعد للتعليم عن بعد في يومنا الحاضر ذاك الدور الثانوي، بقدر ما أمسى موضوعا مركزيا، على اعتبار التعلم هو خاصية حياتية بالنسبة للإنسان المعاصر، لا يحدها زمان ولا مكان، ولعل ما يتطلبه هذا الانتقال السريع هو الخبرة في التعامل مع المتعلمين، وكذلك مواكبة احتياجات المعلمين من خلال تجهيز وسائل دعم تقنية لمساعدتهم على تحقيق عملية التعليم والوصول إلى الأهداف الموضوعة مسبقا.

ومن هذا المنطلق، نروم من خلال بحثنا إلى دراسة مدى حضور الانغماس اللغوي في تعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها في عملية التعليم عن بعد، وعبر الصفوف الافتراضية المتزامنة، والدور الذي يجسده الشريك اللغوي في هذه العملية، وصولا إلى التقنيات التي يمكن الاعتماد عليها في تحقيق هذا الانغماس اللغوي. وبناء على هذا التصور، رأينا أن نضع مقارنة تحليلية بين الانغماس اللغوي في التعليم التقليدي والتعليم عن بعد، والحيثيات التي تجعل الانغماس في التعليم الحضوري يتحقق ولا يتحقق في التعليم الافتراضي.

وتنتظم هذه الورقة البحثية تحت المحاور التالية:

المحور الأول: تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها عن بعد في الصف الافتراضي.

المحور الثاني: الانغماس اللغوي في تعليم وتعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

المحور الثالث: دور الشريك اللغوي في عملية الانغماس اللغوي.

المحور الرابع: مكانة التقنيات الحديثة في تحقيق الانغماس اللغوي.

1. تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها عن بعد في الصف الافتراضي.

يُعرف التعليم عن بعد بأنه نظام تعليمي غير تقليدي، يستطيع المتعلم فيه الاستفادة من العملية التعليمية بكافة جوانبها دون الانتقال إلى المدرسة أو الجامعة، ويمكن للمدرسين فيه نقل المعارف والمعلومات ومناقشاتها دون الانتقال إليهم أيضا، إذ يسمح للمعلم أن يختار برنامجه التعليمي بما يتوافق مع حاجات المتعلمين والعملية التعليمية (رمزي، 2010). أما التعلم عن بعد، فهو يتلخص في كونه عمليات تنظيمية ومستجدة تشبع احتياجات المتعلمين، من خلال تفاعلهم مع الخبرات التعليمية المقدمة لهم بطرق غير تقليدية، تعتمد على قدراتهم الذاتية، وذلك من خلال استخدام تكنولوجيا الوسائط التعليمية المتعددة دون التقيد بزمان أو مكان محددين (سعيدة، 2020).

استفاد التعليم عن بعد من خاصية الصف الافتراضي المتزامن، الذي عوض الصف الحضوري التقليدي، وهو عبارة عن بيئة تعليمية إلكترونية توفر التعليم المتزامن أو الآني المباشر، ويشبه إلى حد ما الفصل التقليدي العادي، يكون متزامنا يجتمع فيه المعلم بالمتعلمين في وقت محدد، وفق برنامج وبشكل متزامن في بيئة تعليمية شبه حقيقية، يمكن من خلالها للطرفين المشاركة في العملية التعليمية، والتفاعل المباشر مع بعضهم البعض عبر المنصات الإلكترونية، ويستطيع الطرفان فيه المناقشة، والحوار، وطرح الأسئلة، والتفاعل باستخدام اللوح الافتراضي، والحائط التفاعلي، والتعليق على الوسائط المشاركة، عبر غرف المحادثة التي توفرها هذه المنصات (مكتب اليونيسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية، بيروت، 2020).

تعد هذه الصيغة المعتمدة في التعليم عن بعد من أكثر الأنواع تطورا وتعقيدا، وذلك لأنها مختلفة تماما عن بقية الأنواع الأخرى المألوفة في التعليم عن بعد. إذ توفر خاصية التقاء المعلم والمتعلم/المتعلمين على شبكة الإنترنيت بمنصة إلكترونية متفق عليها مسبقا، في نفس الوقت بشكل تزامني (توفر خاصية الصوت والفيديو والدردشة الآنية)، دون مراعاة مكان تواجد أي طرف. ومن أبرز ما يميز هذه الصيغة عن غيرها، أنها تساعد جماعة الصف على التواصل الحي فيما بينهم افتراضيا، بالإضافة إلى خاصية إنشاء غرف وتقسيم المجموعات، كما تساعد المتعلمين على خوض نقاشات وكتابة التعليقات والرد عليها، وطرح الأسئلة على المدرس ومشاركة الجميع في النقاش، محاكاة للصف التقليدي الحضوري (رمزي، 2010).

فالتعليم عن بعد يركز بشكل عام على تقنية الإنترنيت كوسيلة بين المدرس والمتعلم، حيث تتيح هذه التقنية للمتعلم الولوج إلى منصات وموارد التعلم، لاكتساب، أو بناء، أو إنتاج معرفة معينة، وللتمكن من وسائل التعلم واستعمالها، وكذلك للحصول على الدعم عند الحاجة (جبرون، 2020).

فالتعليم عن بعد يتميز بمجموعة من الخصائص أبرزها (جبرون، 2020):

- ✪ اعتماد الإنترنيت وسيلة رئيسة في التواصل بين المدرس والمتعلم أو المتعلمين، ووسيلة أيضا لتوصيل التعلمات والتعليمات للمتعلمين، وهي وسيلة غير محايدة اتجاه التعلم، بل مؤثرة تأثيرا بالغا على شكل التعلم، وطرائقه، وظروفه؛
- ✪ أنه تعليم يفترض حضور المدرس والمتعلمين في صف يمكن من رؤية الطرفين لبعضهما البعض افتراضيا؛
- ✪ يتطلب كفايات بيداغوجية مختلفة ومتطورة مقارنة بكفايات التعليم والمعلم في التعليم التقليدي، فالتعليم عن بعد يحتاج إلى مهارات خاصة على مستوى التخطيط والتدبير والتقويم.

وقد حدد "مايكل مور" ثلاثة مستويات من التفاعلات التي تتم أثناء عملية التعليم عن بعد، والتي يجب على المعلم تأملها والتحكم فيها (Moore, 2019):

- تفاعل المحتوى- المتعلم (Learner-content interaction)، الذي يعنى بدرجة فهم المتعلم للمحتوى الذي بين يديه؛
- تفاعل المعلم- المتعلم (Learner-instructor interaction)، ويعنى بتكتيكات ومساعي المعلم لجعل المتعلم مقبلا على التعلم؛
- تفاعل متعلم- متعلم (learner- learner interaction)، ويعنى بالعلاقة بين المتعلمين، وأشكال التعاون التي تحصل بينهم، حتى في غياب المدرس.

نرى بأن تحقيق الانغماس اللغوي عن بعد لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها، يبقى مرتهن بهذه التفاعلات المشار إليها، إذ يجب أن تراعى في النوع الأول مثلا، مسألة تحقيق الفهم، والثاني يَجب أن يُجيب عن سؤال كيف السبيل إلى جذب المتعلم، وتوفير الفرص له لتحقيق تعلم جيد؟ أما النوع الثالث فيتم النظر فيه إلى تدبير العلاقة بين المتعلمين عن بعد فرديا أو جماعيا، ومدى انغماسهم في جماعة الصف اللغوية.

يشير البوشيخي عند تفريقه بين تعلم اللغة الأجنبية واكتساب اللغة الأم، إلى مصطلح مهم وهو اصطناع المحيط اللغوي (البوشيخي، 2005)، ولعل ما يفهم من ذلك هو ضرورة وضع المتعلم في محيط لغوي تعليمي يماثل إلى حد ما، المحيط اللغوي الطبيعي للغة المتعلمة. ولا شك أن اعتبار ذلك في عملية تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها سيقرب عملية التعلم من الاكتساب، وهو ما يمكن تسميته بمبدأ المحاكاة. من هنا؛ نجد أن مجموعة من المدارس والمراكز والجامعات الخاصة بتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، قد ذهبت في هذا المنحى، محاولة منها تعويض البيئة الحقيقية ببيئة افتراضية، وذلك بغرض دفع المتعلمين في التعليم عن بعد إلى الانغماس اللغوي في اللغة العربية ومحاكاة ثقافتها، عبر ما توفره تقنيات التكنولوجيا الحديثة في التعليم.

لقد أضحى اعتماد الصفوف الافتراضية عبر المنصات الإلكترونية، منافسا قويا للصفوف التقليدية التي اعتدنا عليها، إذ لم تعد عملية التعلم محصورة في وقت أو مكان محدد، بل تخلصت من هذا القيد وأصبح بإمكان العالم أن يلتقي في وقت محدد يناسب جميع المتعلمين. لأن التعليم عن بعد بالصفوف الافتراضية المتزامنة نجده قد عوض إلى حد ما الصف التقليدي الحضوري، لكنه لا يساعد المتعلم على الاستخدام الوافي للغة العربية، خارج نطاق الساعات الصفية الافتراضية المحدودة، والإشكالية هنا تكمن في أن المتعلم قد لا يحصل على ممارسة كافية للغة، ويبقى الاعتماد على التقنية في محاولة منه الانغماس اللغوي تظل محدودة وغير كافية.

2. الانغماس اللغوي في تعليم وتعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها

أمسى تعليم وتعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها بالانغماس فيها وفي ثقافتها، أمرا مهما وفعالا في اكتساب المتعلم السليقة العربية والثقافية في الآن نفسه، وهنا يجب استحضار أهمية تعلم اللغة في سياقها الثقافي وليس بمعزل عنه، أو مفرغة من محتوياته الثابتة، وهذا الأمر ينطبق على جميع اللغات الإنسانية. وما يفهم من مصطلح الانغماس هو: غمس يغمس الغمس، كغمس القماش أو اليد في الماء حتى تتبلل، والانغماس اللغوي عملية يراد منها غمس المتعلم في اللغة العربية والوسط الثقافي، حتى يمتزج ويندمج فيه أولا عبر التصادم مع اللغة والواقع العربي، وثانيا بالتواصل مع الناطق الأصلي. إذ نعتبر أن التعلم بالانغماس في اللغة العربية أحد أنجع وأسرع الطرق التعليمية، وذلك لأن المتعلم في هذه العملية يكون متحررا من القيود التي قد تعيق عملية تعلمه للغة العربية، والأمر يكون أشبه بأي نشاط روتيني يقوم به الشخص في حياته اليومية.

فقد أثبت الانغماس اللغوي الحضوري نجاعته في زيادة الكفاءة اللغوية، والثقافية في تعليم وتعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وذلك من خلال زيادة رصيد المتعلمين على مستوى اللغة، وتعرفهم على أساليب ووسائل الناس في الخطاب والتعبير عن الذات، بالإضافة إلى تزودهم بآليات تواصلية سريعة وموجزة وعبارات سلوكية يومية، وأيضا تدربهم على ما درسوه في قاعة الدرس، إضافة إلى ذلك، تعرفهم على عادات الناس في المجتمع وتقاليدهم، في الطعام والشراب، والأعراس، والفن بأنواعه، والأعياد، والمناسبات الأخرى... (رائد، 2017).

فالانغماس اللغوي هو تلك الاستثارة التي تحصل عند متعلم اللغة العربية الناطق بغيرها، والتي تقتضي وجود مثيرات في الواقع التعليمي الذي يحيط به، وتنقسم هذه المثيرات إلى نوعين: مثيرات خارجية، وأخرى داخلية؛ الأولى تتعلق وترتبط بالمحيط الذي يأخذ المتعلم عنه لغته، ونستند هنا إلى مقولة دو سوسير: التي ترى أننا "نتعلم لغتنا الأم من خلال إصغائنا للآخرين، فهي لا ترتسم في أدمغتنا إلا بعد تجارب عديدة" (De Saussure, 1985).

من هنا يمكن التأكيد على أن الانغماس اللغوي لا يحصل بمعزل عن هذه الاستثارة، وهذا ما ينحى إلى تأكيده دو سوسير في قوله: "أن الانطباعات التي نستقبلها من خلال سماعنا للآخرين هي التي تغير من عاداتنا اللسانية" (De Saussure, 1985)، أي أن متعلم اللغة العربية الناطق بغيرها يميل إلى الانطباعات اللغوية الصادرة عن الناطق الأصلي باللغة، أما المثيرات الداخلية فهي ما يتعلق بعملية التعلم ذاتها، فمتعلم اللغة العربية يتعود على الاستجابة في عملية الانغماس، واكتساب مجموعة من ردود الأفعال اللغوية التي تؤثر في عملية تعلمه للغة.

ومن هنا، يمكن اعتبار الانغماس اللغوي عبارة عن عملية تعلم منظمة للغة الثانية، يراد من خلالها تصادم متعلم اللغة العربية الناطق بغيرها مع الناطق الأصلي بها، إذ تعود هذه العملية على المتعلم بتحقيق نتائج مذهلة في تعلم اللغة العربية لغة ثانية. ونستطيع القول: أن الانغماس اللغوي عبارة عن جسر تواصلي يربط بين متعلم العربية كلغة ثانية والمتكلم الأصلي من أجل الممارسة اللغوية الفاعلة.

ولعل من بين العوامل التي يمكن أن تحقق الانغماس اللغوي في تعلم اللغة العربية لدى الناطقين بغيرها، هو الاحتكاك المباشر، وغير المباشر بالمتكلم الأصلي، وكذلك حضور الجلسات، والندوات العلمية والثقافية، ومع ذلك قد يكون غير كاف، إذ يحتاج الأمر إلى الاستعانة بوسطاء، ومتخصصين ممن يشرفون على عملية الانغماس اللغوي، وتتم العملية بوجوه مختلفة، تنضاف إلى ما سبق ذكره؛ من مثل: الإقامة اللغوية، والسياحة اللغوية، والتسوق اللغوي، والانخراط فيما يسمى بالقرى اللغوية (بن قبلية، 2019).

إن ما يمكن أن نسميه بالانغماس اللغوي الناجح في تعلم اللغة العربية لدى الناطق بغيرها، هو الذي ينحوا فيه المتعلم من خلال عملية التعلم إلى محاكاة الاكتساب الفطري للغة، ويمكن أن تتم هذه العملية بالموازاة مع عملية التعليم، لأن هذا الأخير يتم بمعرفة صريحة وواعية، بينما الاكتساب يكون قريبا من التقليد منه إلى المحاكاة. من هنا نرى بأن الانغماس اللغوي في تعلم اللغة العربية عند الناطقين بغيرها، يستفيد من الجانبين معا "التعلم والاكتساب"، إذ لا يمكن الفصل بينهما على اعتبار أن الأول يكون موجها، في حين الثاني يكون بشكل غير مقصود.

فإذا كان الانغماس اللغوي يتجه نحو إشراك متعلم اللغة العربية الناطق بغيرها في بيئة لغوية فعلية، يطغى عليها الاحتكاك المباشر باللغة والثقافة في الوقت نفسه، فهل يمكن أن ينجح هذا الانغماس في التعليم عن بعد؟ وهنا يجب على المؤسسات والجامعات، أن تكيف هذه العوامل لتتناسب مع السياق الافتراضي، ومحاولة خلق جو يحاكي النمط التقليدي في عملية الانغماس. ونجاح العملية من عدمها يبقى مرتهن بالأهداف المسطرة لإنجاح الانغماس الافتراضي، وكذلك مدى رغبة المتعلم في خوض غمار هذه العملية،

مع العلم أنه يصعب على المتعلم أن يظل لأكثر من أربع ساعات متصلا بالحاسوب أو اللوحات الإلكترونية، على اعتبار أن هذا النوع من التعليم، يكون حركيا على مستوى الذهن وجامدا ثابتا على مستوى الجسد، وهذا يسبب للمتعلم الضجر والملل، لأنه يقيده عن الحركة عكس الانغماس المباشر، الذي يمكن المتعلم من التحرك، والسفر، واللعب، وغير ذلك من التحركات في إطار الانغماس اللغوي والثقافي، ولعل ما يقدمه الانغماس اللغوي للمتعلمين بأنشطته المختلفة، هو ما يمكنهم من فهم وجهات النظر المختلفة بين الشعوب العربية والشعوب الغربية (إسماعيلي علوي، 2019). وهذا ما نرى أنه يصعب تحققه في التعليم عن بعد.

ونحن إذ نتحدث عن موضوع التعليم عن بعد، نقر بأن عملية تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في الصف الافتراضي، تكاد تكون مفرغة من المحتوى الثقافي الفعلي، الذي يجمع أواصر المتعلم بالثقافة العربية، إذ يظل ما يقدمه المعلم من معارف عن الثقافة، والوسط الثقافي العربي بشكل عام، والمغربي بشكل خاص محدودا جدا، في غياب تصادم فعلي مع الناطق الأصلي باللغة من خلال سياقات تواصلية فعلية. ففي التعليم عن بعد، وإن افترضنا تواصل المتعلم مع عائلات عربية ناطقة باللغة العربية الفصحى والعامية عبر المنصات الافتراضية، ووقع تفاعل واندماج، إلا أنه في نظرنا لن يتحقق الانغماس اللغوي إلا بالحضور الفعلي في البيئة العربية، كما يحدث عندما يسافر المتعلم إلى البلاد العربية لتعلم العربية والتعرف على ثقافتها عن قرب.

وهذا ما لا يمكن أن يحققه التعليم عن بعد، في ظل المحاولات التي اتخذتها بعض المؤسسات والجامعات، من خلال محاولة نقل الأنشطة التي اعتاد عليها المتعلم في البيئة اللغوية العربية، إلى عالم الصفوف الافتراضية، من قبيل الشريك اللغوي الافتراضي، والعائلة اللغوية الافتراضية، وكذلك القرية اللغوية الافتراضية، وغير ذلك من الأنشطة الأخرى، لكن يبقى ما ذكرناه أبرز ما يتعارف عليه، هذا بالإضافة إلى محاولة اعتماد الوسائل والتطبيقات الإلكترونية، التي يكون فيها المتعلم على تواصل مع الآلة دون طرف ثالث. أو ما يمكن تسميته باصطناع بيئة للانغماس اللغوي، بغية خلق بيئة تعليمية تحاكي الانغماس الطبيعي، حتى لا يشعر المتعلم بأنه في حصة تعليمية رسمية، بل يكون الأمر عفويا وتلقائيا، وذلك من خلال المناقشة والتفاعل المباشر مع الأقران من أبناء اللغة، وكذلك بمواجهة المواقف الواقعية من دروس الحياة الحقيقة، التي تتطلب من المتعلم ممارسة ما تعلمه في اللغة.

تجمع مجموعة من الآراء؛ بأن تحقق الانغماس اللغوي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها، مرتهن بالأنشطة التي تجعلهم يندمجون في المواقف الاجتماعية الحقيقية، والتواصل المباشر مع المتكلمين الأصليين، وكذلك الخرجات الميدانية، والزيارات الاستطلاعية للمعالم التاريخية المشكلة للثقافة العربية التي يستفيد منها المتعلم، وفي الغالب الأعم نجدها تواكب وتنسجم مع الدروس التي يتعلمها في الصف،

لأنها تجعل التعلم أكثر وضوحا وفاعلية، ففي المغرب مثلا؛ ما نفعله مع متعلم اللغة العربية الناطق بغيرها، يرتكز في مجمله على الزيارات لبعض المؤسسات، كالبرلمان، والأحزاب السياسية، وجمعيات المجتمع المدني...، إذ يلتقي المتعلم مع المسؤولين عنها فتكون هناك محاضرات ونقاشات هادفة، دون إغفال الأماكن الثقافية والسياحية (إسماعيلي علوي، 2019).

القَسَم اللغوي إستراتيجية لإنجاح الانغماس اللغوي

إن ما يفهم من مصطلح القَسَم اللغوي، والذي اتجهت إلى استعماله مجموعة من المدارس والمؤسسات والجامعات، وهو إلزام متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها طيلة فترة انتسابهم إلى هذه المؤسسات بأن لا يستعملوا، ولا يتحدثوا إلا باللغة العربية الفصحى واللهجات العامية، وهذا القَسَم اللغوي هو أول شيء يفعله المتعلم قبل الالتحاق بالصف، وهي إستراتيجية تتطابق مع مفهوم الانغماس اللغوي، كما أنها تخدمه من خلال هذا التفعيل المحكم، إذ تمنعه أثناء تعلم اللغة العربية لغة ثانية، من استخدام لغته الأم في عملية التعلم، سواء داخل الصف أو خارجه أو عند التحدث مع زملائه. كذلك ينطبق الأمر على مختلف مكونات المدارس والجامعات، من مدراء وأساتذة ومشاركين لغويين، وصولا إلى العائلات المستضيفة، وذلك حتى تتحقق عملية الانغماس اللغوي في تعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها.

يرتكز تعريف القَسَم اللغوي على محددين أساسيين هما: اللغة والفترة الزمنية التي يقضيها الفرد مع تلك اللغة، هذا بغض النظر عن المنهج والطريقة وكذا البيئة، لذلك يمكن تعريفه بأنه مبدأ في تعليم اللغات بذاتها في فترة زمنية محددة، لا يتم خلالها استعمال لغة غير اللغة المراد تعلمها" (مناع ويحي، 2016). وهناك أيضا مجموعة من المعايير التي قدمها "كوان" نذكر منها: استبعاد اللغة الأم والتركيز على اللغة الهدف، والتواصل الطبيعي، وأن تكون فعاليات البرنامج متنوعة في أغلبها خارج الصف، وتشمل المهارات اللغوية كلها، مع تحديد أوقات خاصة بالقراءة، وأن يكون التقييم ومراجعة الذات للبرنامج منظما ومتكررا (زيد إسماعيل و إسماعيل).

ويمكننا أن نضيف هنا في سياق الحديث عن القَسَم اللغوي، بأنه عملية إجرائية تعمل على ضبط العملية التعليمية التعلمية، وفقا لهذا القَسَم، والتي يكون التركيز فيها منصبا على الانغماس اللغوي، من خلال استعمال كل من المدرس/المتعلم اللغة العربية المستهدفة داخل الصف، دون الحاجة لاستخدام أية لغة وسيطة.

3. دور الشريك اللغوي في عملية الانغماس اللغوي

يمثل الشريك اللغوي دورا أساسي في حياة متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها، لأنه يقضي وقتا طويلا إلى جانب المتعلمين، وهو ما يساعدهم على تعلم مجموعة من السلوكيات اللغوية والثقافية، ذات الارتباط باللغة العربية وثقافتها، مما قد لا يتعرضون له داخل الصف. علاوة على ذلك يشعر الشريك اللغوي المتعلم بالأمن والراحة أكثر، حتى أنه يخفف عنه بعض المشاكل النفسية، أو التواصلية التي قد تواجهه، كالشعور بالغربة، في الوطن العربي الذي يختلف عن وطنه الأم، أو الحاجة المستمرة للمساعدة والدعم (إسماعيلي علوي، 2019).

ويتم الاعتماد على الشريك اللغوي في برامج تعليم اللغات وتعلمها، لأنه يقوم بدور مهم باعتباره ناطقا أصليا باللغة المتعلمة، فيعمل على تعزيز ودعم المتعلم لإتقان المهارات اللغوية، عبر الممارسة الحية للغة العربية، من خلال أنشطة مقترحة تزود بها المدرسة أو الجامعة هذا المشارك اللغوي، حتى يكون له إطار محدد يناقش من خلاله الموضوعات بحسب مستوى كل متعلم في هذه اللغة. ويكمن الهدف من الاعتماد على الشريك اللغوي، بكونه وسيلة التحضير للانغماس اللغوي في المجتمع عن طريق هذا الشريك، وذلك لتجاوز التحديات التي قد تعترض المتعلم أثناء هذه العملية.

فمع الانتقال إلى التعليم عن بعد، نرى بأنه تم تغييب عنصرا مهما ومهارة أساسية في تعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وهي المحادثة والتفاعل المباشر مع الناطق الأصلي باللغة، الذي فيه للشريك اللغوي دور كبير، كما أنه غيب أيضا الاحتكاك المباشر بين المتعلمين أنفسهم وبين المعلم، وهذا الاحتكاك الذي يعتبر ضرورة لإكساب المتعلمين القيم الثقافية العربية، التي لا يوفرها التعليم عن بعد في صفوف افتراضية.

إن ما يحقق الانغماس اللغوي في عملية تعلم اللغة العربية أو أي لغة، مرتبط أساسا بعملية التواصل التي يحرص عليها المتعلم، بناء على دافعيته للتعلم، فيعمل المعلم على توجيهها وتصويبها، أما المشارك اللغوي فدوره لا ينصب على تصحيح الوظائف اللغوية فقط، بقدر ما يتمثل دوره في التواصل باللغة الهدف مع المتعلم، ومحاولة تدعيم تعلمه وحثه على الدخول في نقاشات لممارسة اللغة بفاعلية أكثر. وهنا وجوب حضور تنسيق بين المعلم والشريك اللغوي، الذي يرافق المتعلم ويساعده على ممارسة اللغة في الوسط والبيئة اللغوية العربية، عبر مد هذا الشريك بتقرير عن المتعلم يفصل الجوانب التي يجب تدعيمها على مستوى المهارات اللغوية الأربعة. كما يدفع هذا الشريك اللغوي المتعلم إلى ممارسة ما تعلمه داخل الصف من مهارات تواصلية، وقواعد لغوية، والتي بها يستطيع التحدث والتعبير عن حاجاته.

وعليه، ففي ظل هذا الغياب الذي فرضه حضور التعليم عن بعد بتغيب المشارك اللغوي، لا يمكن الحديث حول تحقق الانغماس اللغوي بمعزل عن هذا العنصر المهم، بالإضافة إلى غياب التصادم مع الناطق أصلي باللغة، ما عدى المعلم الذي تبقى له أدوار محدودة لا يمكن أن يتجاوزها.

4. مكانة التقنيات الحديثة في تحقيق الانغماس اللغوي

أضحى حضور الوسائط التكنولوجية والتقنيات الحديثة المرتبطة في أساسها بالإنترنيت، ضرورة مهمة في العملية التعليمية التعلمية، إذ بها وعبرها يتم التعليم عن بعد، الذي عوض التعليم الحضوري التقليدي بنمط افتراضي، يقتصر فيه كل من المعلم والمتعلمين باللقاء في صف افتراضي ومجموعة افتراضية، توفرها هذه التقنيات الحديثة من المنصات والتطبيقات المختلفة.

فمع هذا التطور الهائل الذي عرفه المجال التكنولوجي والتقني، أصبح لتعليم وتعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها في السياق الرقمي أمر بالغ الأهمية، بغض النظر عما بلغته هذه اللغة من إقبال على تعليمها وتعلمها، ففي ظل هذا التطور التقني المتسارع، لم يعد للصعوبة بمكان لكل من يود تعلم اللغة العربية له أن يحقق ذلك، عبر ما توفره المواقع الإلكترونية والشبكة العنكبوتية، سواء بمساعدة معلم أو بدون ذلك.

لكن يبقى الرهان حاليا، متوقفا على كيفية الاستفادة من هذه التقنيات في مساعدة وتحفيز المتعلمين على المزيد من التعلم والممارسة، وذلك بالنظر إلى ما تقدمه البرامج الإلكترونية عبر الشبكة العنكبوتية من وسائل تعليمية حديثة في تعليم اللغات، كونها تساهم في خلق بيئة تعليمية جيدة تساعد في جعل التعليم والتعلم أكثر متعة، إلا أنها لم تبلغ بعد مرحلة مساعدة المتعلم على الانغماس اللغوي، والثقافي المرتبط بتعلم اللغة العربية. لكن يظل تعليم وتعلم اللغة العربية في السياق الرقمي كغيرها من اللغات، وأن استخدام هذه التقنيات في تعليم وتعلم اللغة العربية وخاصة للناطقين بغيرها، يساعد هذه الفئة على تخطي العقبات الجغرافية والزمكانية التي تحول بينهم وبين تعلمها.

تتجلى أهمية التقنيات الحديثة في تعليم وتعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها في:

- ✓ الإدراك الحسي: حيث تقوم الرسوم التوضيحية والأشكال بدور مهم في توضيح اللغة المكتوبة للمتعلمين.
- ✓ الفهم: حيث تساعد الوسائل التقنية الحديثة في التعليم المتعلم على تمييز الألفاظ للوصول إلى الفهم.
- ✓ المهارات: وتتجلى هذه التقنيات في أهمية تعليم المتعلمين مهارات معينة كالنطق الصحيح للحروف وإخراجها من مخارجها، ونطق الكلمات نطقا صحيحا ومعرفة الإعراب.
- ✓ التفكير: تقوم الوسائل التكنولوجيا بدور كبير في تدريب المتعلم على التفكير المنظم وحل المشكلات اللغوية التي يواجهها.

ويمكن أن نضيف إلى ذلك تنويع الخبرات، نمو الثروة اللغوية، بناء المفاهيم السليمة، تنمية القدرة على التذوق اللغوي والجمالي، وتنويع أساليب التقويم لمواجهة الفروق الفردية بين المتعلمين، والتعاون على بقاء أثر التعلم لدى المتعلمين لفترات طويلة، وتنمية ميول المتعلمين للتعلم، وتقوية اتجاهاتهم الإيجابية نحو الانغماس اللغوي عبر ما تقدمه هذه الوسائل التقنية (الزهراني، 2017).

ويمكن تلخيص الدور الذي تقوم به الوسائل التقنية في تحسين عمليتي التعليم والتعلم فيما يلي:

- ✓ أنها تستثير اهتمام المتعلم وتشوقه وتجعله أكثر استعدادا للتعلم.
- ✓ تضمن مشاركة المتعلم بفاعلية في عملية التعلم.

ولكي تنجح عملية التعلم عن بعد والتي تتطلب مهارات وإمكانات عالية، وخاصة مهارات المعلم التقنية وقدرته على تصميم التعلم عن بعد، وإدارته والقدرة على توظيف الاستراتيجيات التواصلية المناسبة لمستوى المتعلمين لدعم ممارستهم وتعلمهم اللغة العربية.

ففي سياق حديثنا عن الانغماس اللغوي، يمكننا القول؛ بأن المتعلم الذي يحاول الانغماس بشكل فاعل في تعلم اللغة العربية من الناطقين بغيرها، عبر استثمار الحاسوب لساعات طوال من الممارسة والاستماع بعد الصف الافتراضي، قد يتحقق له ذلك إلى حد ما، لكن تبقى نسب تحقق الانغماس اللغوي في سياق ثقافي واجتماعي عربي ضعيفا جدا، لأنه لا يمكن أن يتحقق ذلك بمعزل عن سياق ثقافي محض يتواجه من خلاله المتعلم مع الواقع اللغوي والثقافي الحي.

في ظل الاعتماد على التعليم عن بعد كصيغة في التعليم، والذي حرم المتعلمين من الانغماس اللغوي في البيئة الطبيعية والوسط الثقافي للغة العربية، وجب اصطناع وسائل جديدة وخلق بيئات صناعية لتعويض الانغماس اللغوي الطبيعي، بآخر اصطناعي عن بعد بواسطة المنصات التفاعلية المتزامنة، وذلك لتوفير مناخ ملائم نوعا ما لاكتساب وتنمية قدرات المتعلمين في استعمال اللغة العربية.

من هنا يمكن التأكيد على أن المتعلم الذي يسعى إلى الانغماس اللغوي والثقافي للغة العربية، هو من يجد الحلول التي تحقق له ذلك، فيحاول جاهدا إيجاد وتكييف الظروف لتناسب متطلبات هذا الانغماس، وذلك عبر ما توفره الوسائل والمنصات الإلكترونية المتنوعة، وكل ذلك يكون باللغة العربية، إلا أن هذا دائما يبقى مرتبطا بالمتعلم نفسه ومدى رغبته في التعلم وتحقيق الهدف المنشود من ذلك.

خاتمة:

انطلاقا مما سبق، نخلص إلى أن متعلم اللغة العربية الناطق بغيرها، لا يمكن أن يتحقق عنده الانغماس اللغوي في التعليم عن بعد، إلا عبر الانغماس في الوسط الثقافي الذي تستعمل فيه اللغة العربية، وأن هذا الانغماس في حد ذاته لن يحصل بمعزل عن السياق الثقافي العربي، الذي هو مزيج بين اللغة العربية ولهجاتها المختلفة، إذ تتم هذه العملية وفق أساليب متعددة، منها الانغماس بإدماج المتعلم في بيئة يتكلم أهلها اللغة العربية، أو من خلال إقامته وسط عائلة عربية، وجعله يتعايش مع الثقافة العربية.

ونستنتج أن تحقيق قدرة المتعلم على التواصل الدلالي الحقيقي، يرتبط في مضمونه بما يوفره الانغماس اللغوي، الذي يستمد عبره المتعلم حيويته في تعلم اللغة العربية من التأثيرات الثقافية والاجتماعية، التي على كل متعلم أن يعايشها، ويتشربها إحساسه اللغوي، من خلال انغماسه في المقامات التواصلية اللفظية الحية.

المصادر والمراجع

- عبد الرحيم رائد. (11 12, 2017). الانغماس الموجه في برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. تم الاسترداد من جامعة النجاح الوطنية: https://learnarabic.najah.edu/ar/impact/2017/12/11
- أحمد عبد الحي رمزي. (2010). التعليم عن بعد في الوطن العربي وتحديات القرن الحادي والعشرين (الإصدار 1). مكتبة الأنجلو المصرية.
- احمد إسماعيلي علوي. (2019). الانغماس اللغوي في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها"النظرية والتطبيق" (الإصدار 1). الرياض، تجارب انغماسية في برامج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، السعودية: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، دار وجوه للنشر والتوزيع.
- احمد جبرون. (2020). الأساس في علم التدريس (الإصدار 1). طنجة، المغرب: سليكي أخوين.
- آمنة مناع، و بن يحي يحي. (جوان, 2016). الانغماس اللغوي وأثره في تعليمية اللغات. مجلة الواحات للبحوث والدراسات، 9(1)، 1065-1048. تم الاسترداد من https://elwahat.univ-ghardaia.dz/article/view/614
- بن قبلية مختارية. (2019). البرامج الإلكترونية الحديثة وسط مثالي للانغماس اللغوي. أعمال الملتقى الوطني: اللغة العربية وبرامج الذكاء الاصطناعي الواقع والرهانات. مستغانم: المجلس الأعلى للغة العربية.
- عبد الكريم بن صالح الزهراني. (2017). اللغة العربية والتطور التقني(براءة اختراع). بحث غير منشور شارك به في ندوة التقنية والعلوم العربية بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن، مذكور في كتاب مؤتمر اللغة العربية الدولي الرابع، تطوير تعليم اللغة العربية وتعلمها: المتطلبات، والأبعاد، والآفاق،. الشارقة: المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج.
- عز الدين البوشيخي. (2005). تعليم اللغة العربية للناطقين بعيرها من منظور النحو الوظيفي. ضمن كتاب ندوة"اللغة العربية إلى أين؟". الرباط: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.
- عمر محمد ثاني سعيدة. (2020). استراتيجيات تعليم اللغة اتصاليا. مؤتمر اللغة العربية الدولي الرابع بالشارقة، تطوير تعليم اللغة العربية وتعلمها: المتطلبات، الأبعاد، والآفاق، تحت شعار "بالعربية نبدع" (ص 561). الشارقة: المركز التربوي للغة العربية لدول الخليج.

- محمد زيد إسماعيل، و داود إسماعيل. (بلا تاريخ). برنامج الانغماس في تحسين المهارات اللغوية. تم الاسترداد من بحث منشور على الشبكة العنكبوتية.
- مكتب اليونيسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية، بيروت. (أكتوبر، 2020). التعليم عن بعد، مفهومه، أدواته واستراتيجياته. مجلة علوم التربية، دورية مغربية فصلية متخصصة(73)، صفحة 21.

- De Saussure, F. (1985). *Cour de linguistique général.* Paris: Payot.
- Moore, M. G. (2019). *The theory of transactional distance, in (Michael Grahame Moore and William c. Diehl, handbook of distance education).* New York: Routledge.